التقرير اليومي

2007/9/29

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

روسيا وتعزيز علاقاتها مع إيران

بقلم م. ك. بهادراكومر؛ آسيا تايمز؛ 2007/9/22

ستخضع العلاقات الروسية– الأميركيةالى إختبار شديد في الأسابيع المقبلة، حيث أنّ هناك إشارات متزايدة بأنّ الولايات المتّحدة قد قررت، وتقريباً فعلت، شن ضربة عسكرية ضد إيران.

ولا يستثن المراقبون الروس، فلا يستثنون فرضية أن إدارة الرئيس جورج دبليو بوش لا تزال تفكر بسياستها تجاه إيران، ويترك تدفق "التسريبات" الإعلامية طهران والمجتمع العالمي بوضع المخمن عما سيحدث . فهم يحللون بأنّ تدخلاً عسكرياً أميركياً ما سيصبح أمراً حتمياً، إلا إذا خففت إيران من سياستها الإقليمية في العراق. فمن غير المتصور بالنسبة للولايات المتّحدة أن تترك حلفائها العرب في المنطقة يواجهون إيران وحيدين.

لكن عندذاك، لا يتصور الخبراء الروس بأنّ الولايات المتّحدة قد وصلت الى أي محل قريب من نقطة حيث بإمكانها الإدعاء بأنّ الوضع الأمني قد إستقر وبأنّ المصالحة السياسية قد تحققت، الأمر الذي سيسمح بإنسحاب كامل للجنود. على العكس، إنهم يرون بأنّ الوضع في العراق مستمر بالتدهور. فموسكو سوف تزن الأمور على أنّ أجندة الولايات المتّحدة الحقيقية تهدف الى "تغيير النظام" في إيران. فواشنطن كانت قد أكدت، قليلاً أو كثيراً، بأنّ كل التجهيزات العسكرية (ثلاث مجموعات من حاملات الطائرات) الضرورية لضربة بحرية وجوية ضد إيران موجودة الآن في مواقعها في الخليج الفارسي. وكانت إدارة بوش قد أطلقت حملة مركزة لتحريك الرأي العام المحلي في الولايات المتّحدة لهجوم على إيران.

فبوش مغرور أكثر مما ينبغي بنفسه، ولن تكون موسكو العاصمة الوحيدة التي تلاحظ ذلك. فهو بالتأكيد تخلص من خوفه من الكونغرس الذي يهيمن عليه الديمقراطيون في الكابيتول هيل. ومن الأكيد أنه يحضر لقضية حرب خطوة خطوة. وكان المعلق باتريك بوكانان قد كتب مؤخراً يقول: "الثقة بالنصر هذا الخريف في الكابيتول هيل، بوش ينتقل الآن الى المرحلة الثالثة في حربه على الإرهاب: أولاً أفغانستان، ثم العراق، ثم إيران". ولذلك، ومن منظور موسكو، فإنّ الشهرين أو الثلاثة المقبلة ستكون الأكثر حسماً، حتى في الوقت الذي يدخل فيه تعاون إيران مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) مرحلة حاسمة.

وفي هذه الأثناء، كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قد قرر المضي قدماً في زيارته الى طهران في 6 تشـــرين الأول في خطـــوة تضـــايق واشنطن كثيراً. والزيارة متصلة بقمة دول القوقاز (روسيا، كازاخستان، تركمنستان، أذربيجان، إيران)، والتي ستنعقد في إيـــران. إلا أنّ بوتين أدرج في جدول أعماله إجراء "محادثات ثنائية" مع القيادة الإيرانية، أيضاً. وهذه ستكون الزيارة الأولى لبوتين الى إيران.

موقف روسيا اللا متغير

في مؤتمر صحفي مشترك مع وزير الخارجية الفرنسي الزائر برنار كوشنير في موسكو يوم الأربعاء، شرح وزير الخارجية سيرغي لافروف الموقف الروسي حول القضية النووية الإيرانية. فقد أوضح منذ البداية بأنّ موسكو هي في المرتبة الأولى في الإصرار على منع إيـــران مـــن إنتهاك نظام الحد من الإنتشار النووي. وبمعنى آخر، إن روسيا لن تدعم أوتؤيد "إيران نووية"، لكن مع قوله ذلك، أضاف لافروف بـــأنّ المشكلة يجب حلها وفق القانون الدولي. بمعنى آخر، موسكو ترفض أي تصرف "أحادي" من جانب واشنطن.

ثانياً، إحتج لافروف قائلاً بأنّ الخطوات المتخذة من قِبَل المجتمع الدولي حتى الآن– بإتجاه قرارات لجنة حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية وقرارات مجلس الأمن الدولي– قد أثبتت "فعاليتها". وهذا ناتج عن حقيقة أنّ إيران والوكالة الدولية قد توافقتا في الشهر الماضـــي علـــى الإنكباب على قضايا بارزة لم تُحَل بعد بشكل قاطع وحاسم؛ فالجانبان إستفاضا بإتفاقهما وذلك ضمن وثيقة مناسبة. وقال لافروف بأنّ هذه الوثيقة، في تقدير موسكو، تسير بصورة منتظمة وبشكل مرضٍ و "نحن نريد لهذه العملية أن تصل الى خاتمتها من دون عرقلة".

ثالثاً، لقد تحدث لافروف بدعم قوي للقدرات المهنية للوكالة الدولية للطاقة الذرية، وشدد قائلاً: "إننا سوف نعتمد على التقييات المهنية لخبراء الوكالة الدولية **IAEA**". وأضاف في ذروة مزاحه قائلاً: "نحن نتذكر جيداً ما الذي قاد إليه تجاهل الرأي المهني لهذه الوكالة بالوضع بما يتعلق بالعراق منذ أربع سنوات". فهو إستشعر مقدماً الإستراتيجية الأميركية التي تهدف الى تشويه مصداقية الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتحييدها حول قضية إيران، إن لم يكن دفعها جانباً بالكامل، بحيث يحتل مجلس الأمن المقعد الذي يقود العملية.

رابعاً، لقد تحدث لافروف بطريقة مشددة ضد أي هجوم عسكري على إيران، وأكد على "ضرورة القيام بمفاوضات بأسلوب مســـتمر وثابت" بدلاً من ذلك.

خامساً، إنّ أهم ما ميز تصريح لافروف كان ذكره لمناقشات القوى الكبرى في العام الماضي، والتي أدت الى إنشاء ما يُدعى بـــ "صيغة الخمسة زائد واحد" (وهذه تتشكل من الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن– الصين، فرنسا، روسيا المملكـــة المتّحـــدة والولايـــات المتّحدة– زائد ألمانيا). وإستذكر لافروف التفاهم الذي كانت واشنطن قد قدمته لموسكو وبكين، في ذلك الحين، والمتعلق بالموضوع حيث أن دخول مجلس الأمن الدولي على خط القضية الإيرانية، سيكون "هدفاً منفرداً مقصوراً على جهة واحدة"– لمساندة الوكالة الدولية للطاقـــة الذرية وضمان إذعان إيران للوكالة الدولية".

لقد كانت رسالة لافروف لإدارة بوش واضحة وبسيطة: "لا تقوموا، عشوائياً بتحويل قوائم مرمى الهدف الآن". وإســـتمر لافـــروف بالقول: "لا نزال ملتزمين بهذا الإتفاق الأصلي حول التفاهم بأنّ مجلس الأمن الدولي لن يكون مجبراً على المضي بما يتخطى دعم الوكالـــة الدولية"، وبأنّ "الوكالة الدولية للطاقة الذرية راضية الآن عن الطريقة التي تقوم بها إيران بتنفيذ الإتفاقيات حول إغلاق القضايا العالقة في ملفها النووي".

لقد قال لافروف بالواقع "لا" لتحرك واشنطن الأخير لتشديد العقوبات ضد إيران عبر قرار آخر صادر عن مجلس الأمن الدولي. وكان ذلك صدىً لتصريح منسوب الى "مسؤول كبير في موسكو" مجهول قبل أسبوع، والذي قال فيه لصحيفة "فايننشيال تايمز" في لندن: " بقدر ما كان هناك قلق من برنامج إيران النووي، قمنا بتمرير القرارات في الأمم المتّحدة، وهذا يكفي حتى الآن".

وأخيراً، إنتقد لافروف تحرك الولايات المتّحدة والإتحاد الأوروبي لفرض عقوبات أحادية ضد إيران، وذكّر العواصم الغربية بأنّ التفاهم الأصلي الذي كان حين تشكيل مجموعة الخمسة+ واحد، هو تطوير حوار شامل مع إيران "وليس فقط حل كل جوانب برنامج إيران النووي، وإنما حل المسائل المتعلقة بالشؤون الإقتصادية والتجارية والأمن الإقليمي".

وأضاف لافروف "لقد كان هذا النوع من المقاربة الشاملة هو ما ساعد على فتح المجال أمام الوضع المحيط ببرنامج كوريا الشمالية" (بظل إتفاق شباط، تتلقى كوريا الشمالية مقابل تخليها عن نوويتها وتقديمها المعلومات المتعلقة بكل برامجها النووية **950,000** طن من النفط لمحطاتها الحرارية المولدة للطاقة، بالإضافة الى **50,000** طن سلمتها إياها كوريا الجنوبية لإغلاق مفاعلها النووي الوحيد العامل في يونغ بيون).

إذا كانت زيارة كوشنير لأجل إقناع روسيا بالسير ضمن الخط مع تحرك الولايات المتّحدة لإستصدار قرار جديد في مجلس الأمن، فإنّ الأمور لم تسر تماماً بذلك الإتجاه. (من المنتظر أن يصل كوشنير الى واشنطن يوم الجمعة. أما زيارة الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي الى موسكو، فمحددة في **11–12** تشرين الأول).

ولا يمكن لروسيا أن تكون غافلة لعبة فرنسا المزدوجة. فمن جهة، يُعتبر ساركوزي ذي إصطفافات وثيقة مع سياسات إدارة بوش تجاه إيران. ومن جهة أخرى، تستخدم فرنسا التقارب الأميركي– الفرنسي لتقاسم عمليات سلب ونهب الثروة النفطية العراقية مع المصالح النفطية الأميركية. فشركتَيْ "توتال" الفرنسية و "شيفرون" الأميركية قد توافقتا على التعاون فيما بينهما في حقول "مجنون" النفطية العراقية. وكتبت مؤخراً صحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل: "إنّ بناء الإجماع الأميركي– الفرنسي حول العراق هو، الى حد كبير، نتيجة إستعداد المصالح النفطية الأميركية لتقاسم عمليات السلب والنهب مع نظرائها الأوروبيين مقابل مساعدتهم العسكرية لسياسة واشنطن الخارجية في الشرق الأوسط". وفي الفترة المقبلة، سيكون على موسكو أن تحدد "الشراكة عبر الأطلسي" في التعامل مع قضية إيران النووية.

موسكو تدعم البرادعي

إنّ موسكو مصممة على عدم كونها جزءاً من محاولة واشنطن تشويه مصداقية الوكالة الدولية للطاقة الذرية في معالجة المشكلة الإيرانية. وكانت واشنطن قد شنت هجوماً مشابهاً ضد الوكالة الدولية في السباق الى حرب العراق. وقد أوضح لافروف تعاطف روسيا مع المدير العام للوكالة الدولة للطاقة الذرية محمد البرادعي.

وقالت وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس يوم الثلاثاء: "إن العمل الديبلوماسي ليس من إختصاص الوكالة الدولية، فالوكالة الدولية مؤسسة تقنية... ولا يعود الأمر لأي شخص لكي يقلل أو يبدأ بتخفيض الإلتزامات والتعهدات التي أُمر الإيرانيون بإتخاذها من قِبَل مجلس الأمن". بالواقع، لقد عنت بأنّ البرادعي كان شخصاً يعمل على مسؤوليته وحيث لا ينتمي.

ولا تريد روسيا رؤيةالبرادعي وهو يُعامل بقساوة وغطرسة. فروسيا تود أن ترى مفتشي الوكالة يصدرون تقاريرهم حول إيران في نهاية العام من دون خوف. وتجد روسيا نفسها بإتفاق تام مع مقاربة البرادعي، التي تشجع إيران على التحرك قدماً بخارطة طريق مع الوكالة الدولية، بحيث يُصبح التقييم النهائي بحلول تشرين الثاني أو كانون الأول أمراً ممكناً لجهة ما إذا كانت إيران ستحفظ وعودها أو ظهور حل سلمي. وتوافق موسكو على طول الخط مع رؤية البرادعي على أنّ هناك إشارات أمل إيجابية.

ولن تجادل موسكو البرادعي بإستنتاجه الذي قال فيه: "نحن (الوكالة الدولية للطاقة الذرية) بحثنا بشكل دائم عن دليل يشير الى أنّ إيران تنوي بناء أسلحة نووية. لقد وجدنا إشارات مشبوهة لكن لم نجد دليلاً قاطعاً. وبإمكاننا الآن أن نقوم ببعض التقدم في وضع هذه الشبهات

جانباً... من المهم وضع ضغوط. لكن بالإضافة الى العقوبات، يجب أن يكون لدينا حوافز أيضاً لتشجيع إيران على إتخاذ منحى جديد... فإذا ما رفعنا من درجة الحرارة جداً، فإنّ الوعاء يمكن أن ينفجر بالقرب من آذاننا".

بوشهر المثير للجدل

يأتي تصريح لافروف عن الموقف الروسي حول إيران في الزمن الأكثر دقة بالنسبة لواشنطن. فهو يضرب، من الأسفل، التحرك الأميركي للحصول على قرار عقوبات قاس ممرر من قِبَل مجلس الأمن. إلا أنّ القطوع الأقسى والأفظ سيكون تأكيد موسكو على أنّ بوتين سائر قدماً بزيارته المبرمجة الى إيران.

ويُعتبر قرار الكرملين تحركاً ضد حملة واشنطن لعزل إيران في المجتمع العالمي. وقد تصور بعض المحللين الأميركيين بأنّ بوتين سيرسي في النهاية على مقايضة مع واشنطن حول إيران. فمركز دراسات "ستراتفور" الأميركي، الذي لديه علاقات مع المؤسسة الأمنية، قام بإستخلاص "قائمة ذكية لمجموعة من الأشياء أو البنود الواجب ملاحظتها " لكل ما يمكن المقايضة حوله– جورجيا، جمهوريات البلطيق، نظام الدفاع الصاروخي، أوكرانيا، كوسوفو وما الى ذلك.

لكن، وكما ثبت الأمر– ومما قاله لافروف– فإنّ بوتين ليس في مزاج لإجراء مساومات. بالواقع، لقد عززت موسكو من تواصلها مع طهران بإنكبابها على نقطة عالقة في العلاقات الثنائية– بناء محطة بوشهر للطاقة النووية. وقد أصبح هذا أكثر جلاءً ووضوحاً خلال زيارة وزير الخارجية منوشهر متكي الى موسكو في الأسبوع الماضي وفي قرار ترتيب موعد لإجتماع البعثة الإقتصادية الإيرانية– الروسية المشتركة في موسكو.

وقد أشارت موسكو الى أنها كانت تعمل على تجميل التعاون الثنائي مع إيران من حيث إعطاء الزخم والمحتوى الصلب لزيارة بوتين الوشيكة الى طهران. وقد أجرى متكي مناقشات مع رئيس الطاقة الذرية الروسي سيرغي كيريينكو بخصوص بوشهر. وتقرر مرافقة كيريينكو لبوتين في زيارته لطهران. أما النقطة موضع الجدل فهي ما إذا قد تم الإنتهاء من وضع الجدول الزمني، كما زعم الإيرانيون لاحقاً، لتوفير الوقود لمحطة بوشهر وتدشينها.

وكان كيريينكو قد إجتمع مع نائب الرئيس الإيراني غلام رضا آغازاده على هامش إجتماع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا يوم الثلاثاء. وقال كيريينكو لاحقاً للإعلام: "لقد ناقشت بناء محطة بوشهر مع آغازاده". ومع الأخذ بالحساب الحقيقة بأنّ روسيا وإيران قد وقعتا إتفاقاً بحيث أنّ كل الوقود الذي تحتاجه المحطة سوف يتم إنتاجه في روسيا، في حين أنّ الوقود النووي المستنفد سيعاد الى روسيا، فإنّ محطة بوشهر لن تشكل تهديداً لنظام الحد من الإنتشار النووي.

"ليس هناك، ولا يجب أن يكون هناك، عوائق أمام تنفيذ محطة بوشهر النووية". وقال كيريينكو أيضاً بأنه ناقش مع آغازاده أيضاً الإجراءات الواجب إتخاذها لضمان الإنتهاء باكراً من عملية الإنشاء. "أنا راضٍ عن نتيجة الإجتماع"، قال كيريينكو.

موسكو وتنشيط العلاقات مع إيران

وبذلك، تكون موسكو وطهران قد حددتا موقفيهما وبأنه مهما كانت الخلافات الباقية حول محطة بوشهر، فلا أحد من الجانبين يعتبر بأنّ هذه القضية تلخص مجموع تعاونهما الثنائي. وبشكل مماثل، فإنّ ما يهم، هو أنّ الكرملين يوضح، وبطرق مختلفة، النقطة بأنّ تعاون روسيا مع

إيران لا يزال أساسياً، وبأنّ موسكو مستعدة لمواصلة هذا التعاون على مرأى من الجميع من دون الخضوع لأي إكراه، على إعتبار أنّ ذلك مسألة حساسة كما قد تجعل منها واشنطن.

وبالتطلع الى الوراء، تبدو جولة الدول الأربع التي قام بها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد الى عواصم في آسيا الوسطى في الشهر الماضي وإجتماعاته مع قادة "منظمة تعاون شانغهاي"– مع بوتين، تحديداً، في بيشكيك/ كازاخستان، قد توجت بالنجاح. فقد نجح أحمدي نجاد في إحباط خطة أميركية ذكية وماكرة تهدف الى إحتواء إيران وتطويقها في آسيا الوسطى. فمن دون شك، كان ذلك إنجازاً ديبلوماسياً بارعاً، صعباً ومؤثراً بالنسبة لأحمدي نجاد أن يحمل قادة روسيا، كازاخستان، أذربيجان، وتركمانستان على الموافقة بالمشاركة في قمة قزوين.

وبالتأكيد، يرفع حضور بوتين من أهمية قمة قزوين الى حد بعيد. أما الحقيقة فهي انّ إيران، من بين كل الدول المحيطة ببحر قزوين، هي من إتخذ موقفاً كان الأقرب الى موقف روسيا حول القضايا المؤثرة على بحر قزوين. ومرة أخرى نقول، تعتبر المصالح الروسية والإيرانية ممتدة في آسيا الوسطى وأفغانستان. كما أن روسيا لا تزال مزود السلاح الرئيس لإيران.

أما شركات النفط الروسية فقد كانت مهمشة في العراق. ولن تكون روسيا راغبة برؤية إدارة بوش تتقدم بقوة ساحقة لتقوم فوق ذلك "بتغيير آخر للنظام" في إيران– تحت أي ذريعة كانت– لتواصل بذلك الإستيلاء على موارد نفط وغاز الشرق الأوسط. الى جانب ذلك، فإنّ نظاماً غير صديق موالٍ لأميركا في طهران (كالذي ولدته الولايات المتّحدة في جورجيا) سيكون له عواقب كارثية بالنسبة للمصالح الروسية على إمتداد قوس واسع من المناطق الموجودة ضمن "جزئها الحساس" في القوقاز وآسيا الوسطى.

وخلال زيارة بوتين، هناك ميل لأن يكون هناك تركيز متجدد على التعاون بين إيران وروسيا في حقل الطاقة. فروسيا ستسعى دوماً الى تفاهم واسع مع إيران بحيث لا ينتهيان الى وضع يتنافسان فيه مع بعضهما البعض للدخول الى الأسواق. فإيران بلد متحمس بشدة لفكرة كارتل للغاز على نموذج منظمة الأوبك (منظمة الدول المصدرة للنفط) التي كانت موسكو أول من ناقش فكرتها. وتستضيف روسيا إجتماع الدول المصدرة للغاز في أوائل العام **2008**. أما من جانبها، فقد كانت روسيا مؤيدة لنادي طاقة "منظمة تعاون شانغهاي"، والتي ستحصل على قوة دافعة إذا ما أصبحت إيران مشاركاً فعالاً فيها.

وبالطبع، كان لروسيا وإيران مصلحة مشتركة في تصحيح وتغيير "اللعبة الكبيرة" حول تركمانستان. إذ كان وزير الطاقة البريطاني مالكوم ويكس، الذي وصل الى "أشغابات" يوم الثلاثاء، أول وزير بريطاني يزور تركمانستان منذ **9** سنوات. وقد أخبر القيادة التركمانية، وبحماس، بأنّ أوروبا سوف تدفع سعر السوق للغاز التركماني، مشيراً بذلك الى أنه حان الوقت لأن تتطلع "أشغابات" الى ما وراء روسيا وإيران بما يتعلق بسياستها في مجال تصدير الطاقة.

وإذا ما نجح أحمدي نجاد في الإقتراب من نظيره التركماني، كوربانغولي برديموكهاميدوف، للإنضمام الى منظمة تعاون شانغهاي، فإنّ ذلك سيسر موسكو (وبكين) من دون شك. أما الشرق والغرب، فيسعيان بقوة ونشاط لكسب إهتمام الزعيم التركماني. أما برديموكهاميدوف فهو بصدد زيارة الى الولايات المتّحدة في الأسبوع المقبل بدعوة من بوش– تماماً قبل إجتماع قزوين في طهران.

ووسط تنافر الأصوات وعدم إنسجامها حول الأزمة العراقية، فقد أدرك بوش معنى زيارة بوتين الوشيكة الى إيران.

** عمل م. ك. بهادراكومر كديبلوماسي محترف في "مكتب العلاقات الهندية" لأكثر من 20 عاماً.*